أثر اليقين في حياة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - في ضوء القرآن الكريم

د. فائزة أحمد عبد الرحمن محمد*

مستخلص الدراسة

تهدف الدراسة إلى بيان مفهوم اليقين، وتوضيح دلالاته في القرآن الكريم، وفضله ومنزلته، ودرجاته، كما أكدت الدراسة أثره في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن معنى اليقين يدور في قواميس اللغة العربية حول العلم وإزاحة الشك، وأن دلالات اليقين في القرآن الكريم تختلف باختلاف مظانه داخل النسق القرآني، وأن اليقين ذو أهمية بالغة في عقيدة المسلم وسلوكه، وأنه متى رسخ اليقين في قلبه أصبح في حصن حصين من مكائد الشيطان ووساوسه، وأن اليقين قد تمثل في حياة نبي الله إبراهيم – عليه السلام – عقيدة وسلوكاً.

* الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة – المملكة العربية السعودية

مقدمة:

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم، المنعم على عباده المؤمنين، القوي المتين، أحمده حمد الشاكرين، واستغفره استغفار المنيبين، والمرسل بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد

فإن اليقين لو وزن ببقية أعمال القلوب لرجح بها، إذ به يصد المؤمن عن نفسه هجمات الهوى، ويطرد عن نفسه هجمات الشيطان، وهو رباط القوي العزيز على أوليائه.

وإن من أعظم ما ينعم الله – عز وجل– به على عباده؛ نعمة الإيمان واليقين، إذ بهما يأنس المؤمن، وتسكن نفسه، ويطمئن قلبه، ويزول عنه عذاب الحيرة والشك، وصدق الله القائل:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾طه: [١٢٤].

وموضوع اليقين ذو أهمية بالغة في جانب العقيدة والاعتقاد؛ إذ أنه يسهم بحول الله وقوته في ترسيخ عقيدة المؤمن بالحجة والبرهان.

متى قويت عقيدة المؤمن ورسخ اليقين في قلبه، أصبح في حصن حصين من مكائد الشيطان ووساوسه، فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق هذا؟ من خلق هذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه؛ فليستعذ بالله ولينته)[1].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، ح (3276)، (123/4).

وقد أمر الإسلام أن يبني العبد حياته كلها على اليقين، فيزن أعماله بميزان اليقين، ويتجنب الشك والظنون؛ حتى يسلم له أجر العمل ويكتمل ثوابه، ومن ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه، أَخَرج منه شيء أم لا، فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً)[1]. فلا بد من عودة صادقة إلى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)؛ نستقي من معينهما الصافي الإيمان واليقين فنفوز بالأمن والأمان والسكينة والطمأنينة.

ومن هذا المنطلق جاء موضوع البحث:(أثر اليقين في حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من تيقن الطهارة، ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، ح (362)، (276/1).

المبحث الأول

مفهوم اليقين في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى اليقين في اللغة:

مصدر قولهم (يَقِنَ) وهو راجع إلى مادة (ي ق ن) التي تدل على زوال الشك، وقال الراغب الأصفهاني: "اليَقِينُ من صفات العلم فوق المعرفة والدّراية وأخواتهما، يقال: علم يَقِينٍ، ولا يقال: معرفة يَقِينٍ"[1].

وقال ابن منظور: "هو: العِلْم وَإِزَاحَةُ الشَّكِّ وتحقيقُ الأَمر، وَقَدْ أَيْقَنَ يُوقِنُ إِيقَانًا، فَهُوَ مُوقِنٌ، ويَقِنَ يَيْقَن يَقَناً، فَهُوَ يَقِنٌ. واليَقِين: نَقيض الشَّكِّ، وَالْعِلْمُ نقيضُ الْجَهْلِ، تَقُولُ عَلِمْتُه يَقيناً"[2].

ويَقِنَ الأَمرَ يَقْناً ويَقَناً وأَيْقَنَه وأَيْقَنَ بِهِ وتَيَقَّنه واسْتَيْقَنه واسْتَيْقَن بِهِ وتَيَقَّنْت بالأَمر واسْتَيْقَنْت بِهِ كُلُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وأَنا عَلَى يَقين مِنْهُ.وتعبر العرب بِالظَّنِّ عَنِ اليَقِين وباليَقِين عَنِ الظَّنِّ، ومنه قول أبي سدرة الأسدي[3]:

تحَسَّبَ هَوَاسٌ وأَيْقَنَ أَنَّنِي ... بها مُفْتَدٍ مِنْ واحدٍ لا أُغَامِرُه"[4].

يقول تَشَمَّمَ الأسد ناقتي يظن أنني أفتدي بها منه، واستحمي نفسي فأتركها له، ولا أقتحم المهالك بمقاتلته. وإنما سمي الأسد هَوَّاساً لأنه يَهْوِسُ الفريسة أي: يدقُّها[5].

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن، العلامة أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، بيروت– لبنان، ط1 1412هـ، (892/1).

(2) ابن منظور في لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت– لبنان، ط3 1414هـ، (457/13).

(3) أبو سدرة الأسدي: لم أقف عليه إلا عند ابن منظور في لسان العرب، انظر المرجع السابق نفسه (457/13).

(4) انظر المرجع السابق نفسه(457/13).

(5) لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق (457/13– 458).

وقد ذكر المحققون ضوابط لتحديد المراد بالظن في القرآن الكريم.

أحدها: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو يقين، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك. (وهذا من جهة المعنى).

الثاني: أن كل ظن يتصل به أنْ (المخففة من الثقيلة) فهو شكٌ، كقوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا .... ﴾ [الفتح:12]، وكل ظنٍ يتصل به أنَّ المشددة فهو يقين، كقوله:﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[الحاقة:20][1].

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة:51]؛ أَضاف – عز وجل – الْحَقَّ إِلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ؛ لأَن الْحَقَّ هُوَ غَيْرُ الْيَقِينِ، إِنَّمَا هُوَ خالصُه وأَصَحُّه، فَجَرَى مَجْرَى إِضَافَةِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ[2].

وَقَوْلُهُ –تَعَالَى –: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر:99)؛ أَي حَتَّى يأْتيك الموتُ، وفيه الأمر بالإقامة على العبادة إِلَى الْمَمَاتِ[3].

وأورد الجرجاني في تعريفاته[4]: " اليقين في اللغة: العلم الذي لا شك معه ... وقيل هو: طمأنينة القلب، على حقيقة الشيء.وقيل هو: تحقيق التصديق بالغيب، بإزالة كل شك وريب".

(1) الكليات، أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، (د/ط/ت) (588/1).

(2) لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق (457/13).

(3) المرجع السابق (457/13– 458).

(4) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية،بيروت– لبنان،(ط1 1402/1982م)، (259/1).

وقال الفيروزآبادي: "اليَقِينُ من صِفة العِلْم فوق المعرفة والدِّراية وأَخواتهما، يقال: عِلْمُ يَقِين، ولا يُقال: معرفةُ يَقِينٍ؛ وقد يَقِنَ زيدٌ الأَمرَ كفَرِح يَقَناً ويَقْنا وأَيْقَنَهُ وأَيْقَن بِه، وتَيَقَّنَهُ، واسْتَيْقَنَه واسْتَيْقَنَ به: عَلِمَه وتَحَقَّقَهُ"[1].

وجاء في الفروق اللغوية: اليقين هو: سكون النفس وثلج الصدر بما علم،ولهذا لا يجوز أن يوصف الله – تعالى– باليقين.

وقيل الموقن العالم بالشيء بعد حيرة الشك،والشاهد أنهم يجعلونه ضد الشك فيقولون شك ويقين[2].

ثانياً: معنى اليقين في الاصطلاح:

ورد عن بعض أهل العلم زمرة من التعريفات لليقين، وإن كانت هذه التعريفات متباينة من حيث المبنى، إلا إنها متحدة من حيث المعنى، ومن ذلك:

قول الراغب: "اليقين هو: سكون الفهم مع ثبات الحكم.﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء:[**157**]، أي ما قتلوه قتلاً تيقنوه، بل إنما حكموا تخميناً ووهماً"[3].

وقول ابن الجوزي: اليقين: ما حصلت به الثقة وثلج به الصدر، وهو أبلغ علمٍ مكتسب[4].

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، أبو إسحاق إبراهيم الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– لجنة إحياء التراث الإسلامي، بيروت– لبنان، (ط1 1412هـ–1992م)، (395/5).

(2) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن العسكري (ت 295هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د/ط/ت)، (294/1).

(3) المفردات في غريب القرآن مرجع سابق: (892/1) .

(4) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، (ط1 1422هـ)، (29/1).

وقول ابن عطية: اليقين هو: ما علم على الوجه الذي لا يمكن أن يكون إلا عليه[1].

وقول البيهقي: اليقين هو: سكون القلب عند العمل بما صدق به القلب[2].

وقول الكفوي: اليقين هو: أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه[3].

ونقل ابن القيم – رحمه الله تعالى – عن بعض أهل العلم في مدارج السالكين،عدة تعريفات منها:

قول ذي النون: اليقين هو: النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال[4].

وذكر الفيروز آبادي في البصائر أيضاً قول الجنيد: اليقين هو: استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يُحوّل ولا يغيِّر في القلب.

وقول السَّرِيُّ: الْيَقِينُ سُكُونُكَ عِنْدَ جَوَلَانِ الْمَوَارِدِ فِي صَدْرِكَ، لِتَيَقُّنِكَ أَنَّ حَرَكَتَكَ فِيهَا لَا تَنْفَعُكَ. وَلَا تَرُدَّ عَنْكَ مَقْضِيًّا[5]

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1 1422هـ- 2001م، (203/1).

(2) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير، باب: (الورع والتقوى)، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، (ط3 1996م)، (352/1).

(3) الكليات، الكفوي، مرجع سابق (67/1).

(4) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي،دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط3 1416هـ-1996م، (375/2).

(5) بصائر ذوي التمييز، (397/5-398).

المبحث الثاني

دلالات اليقين في القرآن الكريم

وردت مادة (يَقِنَ) في القرآن الكريم في عشرين آية باشتقاقاتٍ مختلفةٍ، موزعةٍ على أربع عشرة سورة.

وعند التأمل في هذه الآيات نجد أن اليقين يختلف معناه باختلاف مظانه داخل النسق القرآني، ويمكن تصنيف هذه المعاني كالتالي:

1- اليقين: العلم الجازم الذي لا يقبل التشكيك؛ كما في قوله- تعالى - (إن هذا لهو حق اليقين) [الواقعة:95]، قال الطبري في تفسيره: "أي: إن هذا الذي أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقرّبين وأصحاب اليمين، وعن المكذّبين الضالين، وما إليه صائرة أمورهم (لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) يقول: لهو الحق من الخبر اليقين لا شكّ فيه"[1].

وقوله تعالى: (وإنه لحق اليقين) [الحاقة: 51]، أَيِ: الْخَبَرُ الصِّدْقُ الْحَقُّ الذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ[2].

2- اليقين: الموت: قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[الحجر: 99]، أي الموت فإنه متيقن لحاقه كل حيٍّ مخلوق، والمعنى: فاعبده ما دمت حيّاً ولا تخلّ بالعبادة لحظة. وقال تعالى أيضاً: ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾[المدثر: ٤٧]، الموت

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، لبنان بيروت، (ط2 1420م-2000م) (163/23).

(2) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية (ط2 1420هـ - 199م)، (219/8).

ومقدماته[1]. قال الحافظ ابن حجر: "وإطلاق اليقين على الموت مجاز، لأن الموت لا يشك فيه"[2].

وفي الصحيح من حديث الزهري، قَالَ: أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، (أَنَّ أُمَّ العَلاَءِ، امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اقْتُسِمَ المُهَاجِرُونَ قُرْعَةً[3] فَطَارَ لَنَا[4] عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي»)[5].

3- ما أعده الله للموقنين في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام: 75].أَيْ وكما أَرينا إبراهيم

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت685هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ط1 1418هـ)، (218/3).

(2) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، كتاب الجهاد، باب: (ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم)، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (د/ط) 1379هـ ، (253/6).

(3) (اقتسم المهاجرون قرعة) اقتسمهم الأنصار في نزولهم عليهم وسكناهم في منازلهم بالقرعة.انظر المرجع السابق نفسه (278/2).

(4) (فطار لنا) وقع في سهمنا وحصتنا. انظر المرجع السابق نفسه (278/2).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه، ح 1241، (72/2).

الحقَّ فِي أَمر أَبيه وقومِه، وَهُو أَنَّهم كانوا على ضلالٍ بيِّنٍ فِي عِبادتِهم للْأَصنامِ، وَلِأَجْلِ أَن يكون مِن أَهْل اليقِين الرَّاسخين فيه أَريناه ما أريْناه، وَبَصَّرناه مِنْ أَسرارِ الملكوت ما بصَّرنا، أَيْ نريه ذلك لِيعرف سنننا فِي خلقنا، وَحكْمنا فِي تدبير ملكنا، وآيَاتنا الدَّالَّة على ربوبِيَّتنا وَأُلوهِيّتنا؛ ليقيم بِها الْحُجَّة عَلَى الْمُشْرِكِين الضَّالِّين، وَلِيَكُون فِي خاصَّة نفسه من الْواقفين على عين اليقين[1].

4- مراتب اليقين: أشار القرآن الكريم في سورة التكاثر إلى مرتبتين منها، وهما: علم اليقين وعين اليقين فقال تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾[التكاثر: 5- 8]

وفي سورتي الواقعة والحاقة إلى المرتبة الثالثة؛ وهي حق اليقين، فقال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾الواقعة: ٩٥، وفي سورة الحاقة:﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[سورة الحاقة: ٥١][2].

5- خص الله تعالى أهل اليقين بالانتفاع بالآيات: قال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[الذاريات:20]،أي: أَنَّ فِي الْأَرْضِ عَلَامَاتٌ تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَمِنْهَا عَوْدُ النَّبَاتِ بَعْدَ أَنْ صَارَ هشيماً، ومنها أنهدراً لأقوات فِيهَا قِوَامًا لِلْحَيَوَانَاتِ، وَمِنْهَا سَيْرُهُمْ فِي الْبُلْدَانِ الَّتِي يُشَاهِدُونَ فِيهَا آثَارَ الْهَلَاكِ النَّازِلِ بِالْأُمَمِ

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية للكتاب،مصر، (د/ط)1990م، (463/7).

(2) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (892/1).

الْمُكَذِّبَةِ. وَالْمُوقِنُونَ هُمُ الْعَارِفُونَ الْمُحَقِّقُونَ وَحْدَانِيَّةَ رَبِّهِمْ، وَصِدْقَ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ، خَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ وَتَدَبُّرِهَا[1].

6- أن أهل اليقين لا يزيغون عن الحق ولا تعتريهم شبهة ولا ريبة:قال – تعالى –: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[سورة البقرة:118]، نفى الله تعالى العلم عن المشركين وأهل الكتاب لأنهم لم يعملوا بما علموا فطلبوا أن يكلمهم الله كما يكلم الملائكة وكما كلم موسى – عليه السلام –، أو أن تأتيهم آية جحوداً بما آتاهم الله من آيات واستهانةً بها، وهؤلاء تشابهت قلوبهم وقلوب من قبلهم في العناد والتحكم على الأنبياء، ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ قد بينا الآيات لقوم بالحق لا تعتريهم شبهة ولا ريبة[2].

7- وأنهم هم الذين يحكمون شرع الله تعالى في جميع أمورهم:

قال –تعالى –:﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة: 50] الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والمعنى: أيعرض اليهود عن حكمك بما أنزل اللهعليك ويتولون عنه ويبتغون حكم الجاهلية، ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾للإنكار أيضاً: أي: لا أحسن من حكم الله عند أهل اليقين[3].

8- اليقين من أوصاف أهل الإيمان الذين اختصهم الله تعالى بالهدى والفلاح:

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، دار الكتب المصرية، مصر – القاهرة، ط2 1384هـ-1964م، (40/17).

(2) انظر: محاسن التأويل: محمد جمال الدين محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد بال عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1 1412هـ-1992م، (386/1).

(3) انظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، ط1 1414هـ، (56/2).

قال تعالى:﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[البقرة:4]. أي: أَنَّهُمْ يؤْمِنون بالبعْث والحياة بعد الْموت،وَاليَقين هو الْعلم بالشَّيْء عن نظر واستدلال[1].

فالتعبير عن إيمانهم بالآخرة بمادة الإيقان لأن هذه المادة، تشعر بأنه علم حاصل عن تأمل وغوص الفكر في طريق الاستدلال لأن الآخرة لما كانت حياةً غائبةً عن المشاهدة غريبة بحسب المتعارف، وقد كثرت الشبه التي جرت المشركين والدهريين على نفيها وإحالتها، كان الإيمان بها جديراً بمادة الإيقان بناءً على أنه أخص من الإيمان، فلإيثار يوقنون هنا خصوصية مناسبة لبلاغة القرآن[2].

9- ذمَّ الله تعالى أهل النار بأنهم لم يكن لهم يقين بالآخرة، فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾[الجاثية: 32]، أي: أن وعده بالبعث والحساب حق،أوجميع ما وعد به من الأمور المستقبلة واقع لا محالة والقيامة لا ريب فيها، ﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾أيْ: أيُّ شيءٍ هي الساعة؟ ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ أي: ما نعتقد إلا ظنّاً لا علماً، ولم يكن لنا يقين بذلك[3].

(1) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر عاشور، الدار التونسية، تونس للنشر، (د/ط) 1984م)، (240/1).

(2) انظر: المرجع السابق نفسه (240/1).

(3) انظر فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، ط1 1414هـ،(14/5).

المبحث الثالث

فضل وعلامات ودرجات اليقين

1/ فضل اليقين ومنزلته:

قال ابن القيم:"لا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا، من قلبه وبدنه.

وقال أيضاً:"اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهما حصول الإمامة في الدين، قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[السجدة:24].

متى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، فامتلأ محبةً لله وخوفاً منه ورضاً به وشكراً له وتوكلاً عليه. واليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح[1].

وَرَوَى خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ سفيان الثوري وشريك وسفيان بن عيينة عَنِ سليمان الأعمش عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ: «لَا تُرْضِيَنَّ أَحَدًا بِسَخَطِ اللَّهِ. وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ اللَّهِ، وَلَا تَذُمَّنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ. فَإِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ. وَلَا

(1) مدارج السالكين (374/2).

يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهِيَةَ كَارِهٍ. وَإِنَّ اللَّهَ بِعَدْلِهِ وَقِسْطِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ»[1].

2/ علامات اليقين:

قال الفيروزآبادي في البصائر[2]: ثلاثة من أعلام اليقين:

أ- قلة مخالطة الناس في العشرة.

ب- ترك المدح لهم في العطية.

ج- التنزه عن ذمهم عند المدح.

ومن علاماته أيضاً: ما أخرجه البيهقي بسنده عن ذي النون: قال: (ثلاثة من أعلام اليقين: النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء، والاستعانة به في كل حال)[3].

3/ درجات اليقين:

اليقين على ثلاث درجات[4]كما ورد في القرآن الكريم، وذكرها صاحب مدارج السالكين، وأول هذه الدرجات:

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مسند عبد الله بن مسعود، ح 10514، ، تحقيق أحمد بن عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1 1415هـ- 1994م، (215/10).

(2) انظر: بصائر ذوي التمييز (397/5).

(3) أخرجه البيهقي في السنن الصغير، المقدمة، باب: استعانة العبد بمعبوده على حسن عبادته علماً منه بأنه لا يمكن ذلك إلا بمعونته، أحمد بن الحسين بن علي أبوبكر البيهقي، حققه: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي- باكستان، ط1 1410هـ- 1989م، ح 17، (16/1).

(4) وقد سمى أبو بكر الوراق هذه الدرجات وجوه .انظر: بصائر ذوي التمييز (398/5).

أ- علم اليقين: وهو قبول ما ظهر من الحق تعالى، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام به الحق.(وهذه هي متعلقات اليقين وأركانه).

فقبول ما ظهر من الحق تعالى: هو: أوامره ونواهيه، وشرعه ودينه الذي جاء على ألسنة رسله فتلقاه بالقبول والإذعان والتقيد لله – جلت قدرته-.

وقبول ما غاب للحق: هو: الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق على لسان رسله من أمور المعاد والجنة والنار، وما قبل ذلك من بعث وصراط وميزان وحساب.فقبول هذا كله هو علم اليقين الذي لا يخالج القلب فيه شبهة ولا شك ولا غفلة عنه. والوقوف على ما قام بالحق: قصد به علم التوحيد الذي أساسه إثبات أسماء الله وصفاته وأفعاله، فقبول ذلك بعدم النفي أو التعطيل، كما يقصد به أيضاً عبادة الله وحده وإخلاص العمل له.

ب- عين اليقين: ويراد به: أن المعارف التي حصلت سلفاً ترتقي من درجة العلم الجازم بها، إلى درجة النظر إليها بالأنظار، والكشف عنها بالأبصار.

ج- حق اليقين: وهذه الدرجة تحصيل لما حصل من العلم والمشاهدة.

وقد مثل ابن القيم لهذه المراتب الثلاث بقوله: "من أخبرك أن عنده عسلاً وأنت لا تشك في صدقه، ثم أراك إياه فازددت يقيناً، ثم ذقت منه، فالأول علم اليقين، والثاني عين اليقين، والثالث حق اليقين.

فَعِلْمنا بالجنة والنار علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين، وشاهدها الخلائق، وبرزت الجحيم للغاويين، وعاينها الخلائق، فذلك عين اليقين، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فذلك حينئذٍ حق اليقين[1].

1انظر: مدارج السالكين: (2/378-380).

المبحث الرابع

فضائل إبراهيم- عليه السلام

خلق الله الخلق واصطفى من شاء منهم لولايته واصطفى منهم أنبياءه وأعدهم لمهمة عظيمة فأدبهم وكملهم وصنعهم على عينه وخصهم بخصائص دون سواهم تكريماً وتشريفاً وأمدهم بالبراهين والآيات الدالة على صدقهم.

وفضل بعضهم على بعض كما أخبر جل جلاله في قوله:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾البقرة: 253

وخيرهم أولو العزم م الرسل وخيرهم الخليلان محمد وإبراهيم-عليهما السلام-.

ونعرض في هذا المبحث جملة من فضائل إبراهيم - عليه السلام - المستقاة من نصوص الكتاب والسنة، وقد ذكرها الشيخ الطبيب أحمد حطيبة في تفسيره[1]. وهي كما يلي:

1- إنه إمام الحنفاء الذين تركوا الشرك ومالوا إلى التوحيد قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾النحل: ١٢٠ -١٢٣.

والأمة معلم الخير أي: كان معلماً للخير يأتم به أهل الخير في الدنيا، وقد اجتمع

(1) تفسير الشيخ الطيب أحمد حطيبة،**(3/124)**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (http://www.islamweb.net)، (الكتاب مرقم آلياً، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درساً).

فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أمة[1]. وقال تعالى أيضاً:﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران: 67]، إن إبراهيم الذي اتفق اليهود والنصارى والمشركون على إجلاله وتعظيمه، لم يكن على ملة أحد منهم، بل كان مائلاً عما هم عليه من الوثنية، مسلماً لله، مخلصاً له،﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾الذين يسمون أنفسهم الحنفاء ويدّعون أنهم على ملة إبراهيم، وهم قريش ومن سار على نهجهم من العرب[2].

2- هو خليل الرحمن: قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء: 125، والخليل أعظم من الحبيب، فهو أقرب الأحبة[3].

3- اختصه الله في أن جعل في ذريته النبوة والكتاب: قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾الحديد: 26. بل أخرج من ذريته خير الخليقة وأشرفهم وهو محمد – صلى الله عليه وسلم –، ويقول تعالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث فيهم رسولاً منهم، أَيْ مِنْ من ذرية إبراهيم، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد– صلوات الله وسلامه عليه– رسولاً في الأميين إليهم، إلَى سائر الأعجميين، من الإنس والجن لما قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[البقرة: ١٢٩][4].

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1 1420هـ، (101/3).

(2) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م ، (182/3).

(3) تفسير الشيخ الطيب أحمد حطيبة مرجع سابق (3/124).

(4) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مرجع سابق (443/1).

4- أثنى الله عليه ووصفه بالأوصاف الشريفة. قال تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾[هود: 75]، أي: إن إبراهيم لبطيء الغضب، متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره، منيب رجاع إلى طاعته[1].

ووصفه بالإحسان والإيمان فقال﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الصافات: 109-111].

وقال:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ص: 45 - 47

فوصفهم الله بالقوة في العبادة والبصر في أمر الله، والدعوة إلى الله تعالى[2].

وأخبر عن سلامة قلبه، فقال:﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: 83 - 84]، أي: أخلص الله قلبه من الشرك ومن آفات القلوب[3].

(1)جامع البيان (492/12).

(2)انظر الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر ، بيروت، لبنان، (د/ط/ت)، (198/7).

(3)مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط1 1419هـ- 1998م، (128/3).

المبحث الخامس

أثر اليقين في حياة نبي الله إبراهيم – عليه السلام–

كان اليقين في حياة إبراهيم – عليه السلام– عقيدةوسلوكاً:–

أولاً: اليقين من الناحية العقدية:

إن اليقين في قلب نبينا إبراهيم –عليه السلام– عقيدة راسخة وذلك يتجلى فيما يلي:

سؤاله الله تعالى معاينة إحياء الموتى كما في قوله عز وجل:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: 260]، لينتقل من مرتبة في اليقين إلى مرتبة أخرى أعلى منها، ولم يكن شاكاً في قدرة الله على إحياء الموتى لأنه عليه السلام كان كامل اليقين، ولكنه أراد أن ينتقل من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين، فيرى ذلك بأم عينه، وخطاب إبراهيم المباشر﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ يؤكد بأن السؤال وقع لمعرفة الكيفية – كيفية الإحياء–وذلك من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال[1].

يقول القرطبي: (وإذا تأملت سؤاله – عليه السلام – وسائر ألفاظ الآية، وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول، نحو قولك: كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا)[2].

ومتى قلت كيف ثوبك؟ وكيف زيد؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله.

---

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (مرجع سابق)، (222/1).

(2) الجامع لأحكام القرآن (299/3).

وقد تكون (كيف) خبراً عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف، نحو قولك: كيف شئت فكن، ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي،(وكيف) في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء[1].

ومما يؤكد أن نبينا إبراهيم – عليه السلام– لم يكن شاكاً ما يلي[2]:

1– إن الأنبياء معصومون عن الشرك وذلك أن الله – عز وجل – اصطفاهم لدعوته وليخرجوا الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وقد أخبر الله تعالى عن إبراهيم – عليه السلام –بقوله:﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران: 67].

2– أن الله – عز وجل – ذكر أن إبراهيم – عليه السلام – أنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنعام: 74].

3– أن الله – عز وجل – أراه ملكوت السموات والأرض ليعلم عظمة الخالق تبارك وتعالى كما في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام: 75].

4– أن الله – عز وجل – ذكر في آخر هذه الآيات أنها كانت حجة لإبراهيم – عليه السلام –على قومه، قال تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام: 83].

5– أنه – عليه السلام – دحض ادعاء المعاند المستكبر النمرود، وبين له أن الله عز وجل هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير.﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ

(1)انظر الجامع لأحكام القرآن (299/3).

(2) http://www.ahlalhdeeth.com

ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾البقرة: 258

6-كيف يكون شلكاً وقد قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 51]، وقال أيضاً: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ مريم: 41

7- لقول النبي - صلى الله عليه - وسلم في شأنه: (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: رب أرني كيف تحي الموتى؟ قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى. ولكن ليطمئن قلبي)[1].

وفى شرح هذا الحديث: قال الإمام النووي: (اختلف العلماء في معنى: (نحن أحق بالشك من إبراهيم) على أقوال كثيرة: أحسنها وأصحها ما قاله أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء معناه: أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق من إبراهيم وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا أن إبراهيم - عليه السلام - لم يشك، وإنما خص إبراهيم - عليه السلام - لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك، وإنما رجح إبراهيم على نفسه - صلى الله عليه وسلم - تواضعاً وأدباً)[2].

(1)أخرجه مسلم: كتاب:1- الإيمان، باب:69- زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، (84/1) ح238.

(2)انظر صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب:1- الإيمان، باب:69- زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، (183/2).

ثانياً: اليقين عند إبراهيم عليه السلام من الناحية السلوكية:

كما كان اليقين في قلب إبراهيم – عليه السلام – عقيدةً راسخةً، كان في سلوكه واضحاً وذلك يتجلى فيما يلي:

1– ثقته بربه حينما ألقوه في النار، وجاء جبريل يقول: ألك حاجة؟ فيجيبه أما إليك فلا، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل"[1].

2– حينما سأل الله تعالى موقناً بالإجابة أن يهبه ولداً صالحاً،كما أخبر الله –عز وجل–:﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الصافات: 100]، سأله مع كبر سنه وعقم زوجه سارة، فقدر له سبحانه وتعالى أن يتزوج هاجر، فولدت له إسماعيل–عليه السلام[2].

3– امتثاله لأمر الله – تعالى – حينما أمره أن يأخذ هاجر وابنها الرضيع آنذاك ويرتحل إلى مكة، فسار بهما حتى وضعهما عند موضع البيت وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندها جراباً فيه تمر، وسقاءٌ فيه ماء، ثم تركها وقفل راجعاً، تبعته زوجه هاجر وهي ملتاعة وقالت له: إلى أين تذهب ولمن تتركنا في هذا الوادي الموحش المقفر، وهو يمضي في سبيله لا يلتفت إليها، عندئذٍ قالت: آالله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا الله – عز وجل– ثم رجعت إلى المكان الذي وضعهما إبراهيم فيه مع ولدها[3].

---

(1)أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)، ح 4198.

(2)انظر:أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، دار الفكر، لبنان، بيروت، (د/ط) 1407 هـ – 1986 م، (154/1).

3انظر البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي،دار الفكر، بيروت – لبنان، (د/ط) 1407 هـ – 1986 م(154/1).

4- صبره على فراق ولده وزوجه لما تركهما في الوادي عند البيت مع يقينه برعاية الله لهم، وانطلق حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[إبراهيم: 37] .

5- استسلامه لأمر الله تعالى حينما أمره الله تعالى بذبح ابنه، حيث قال لابنه: (إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى)، ورؤيا الأنبياء وحيٌ، قال إسماعيل صابراً محتسباً مرضياً لربه باراً لوالده: " يا أبت افعل ما تؤمر" يعني: امض لما أمرك الله، "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" فأخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، (فلما أسلما وتله للجبين) تل إبراهيم – عليه السلام- إسماعيل على جبينه ليضجعه فيذبحه، وقد انكبَّ لوجهه وقت الذبح. وفي تلك الحال ناداه الله – عز وجل -: (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي فعلت ما أمرت به، قال الله تعالى: (إنا كذلك نجزي المحسنين) في العبادة والاستسلام لأوامر الله عز وجل والمحسنين في تقديم رضا الله عز وجل على شهوات أنفسهم.

قال تعالى: (إن هذا لهو البلاء المبين) أي: إن هذا الذي امتحنا به إبراهيم – عليه السلام – هو الامتحان الواضح الذي تبين به صفاء إبراهيم وكمال محبته لربه وخلته. فلما قدم حب الله وآثره على هواه وعزم على ذبحه، قال تعالى (وفديناه بذبح عظيم)، فكان عظيمًا من جهة أنه كان فداءً لإسماعيل – عليه السلام – ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة.

6- هذا جواب إبراهيم – عليه السلام – لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه بمكروه، لذكره إياها بسوء فينفسه وذلك في قوله تعالى:﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ

أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾الأنعام: 81

قال البغوي في تفسير الآية :(﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾يعنى: الأصنام وهى لا تضر ولا تسمع ولا تنفع، ﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾ ، حجة وبرهاناً، وهو القاهر القادر على كل شيء، ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ ﴾أولى ﴿ بِٱلْأَمْنِ ﴾ أنا وأهل ديني أم أنتم، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: 82])[1].

(1) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط3 1413هـ- 1983م، (112/7).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أبرز النتائج التي توصل إليها البحث على النحو التالي:

– يدور معنى اليقين في قواميس اللغة العربية حول العلم وإزاحة الشك.

– من شعراء العرب من عبر بالظن عن اليقين.

– وأوضح البحث أن دلالات اليقين في القرآن الكريم تختلف باختلاف مظانه داخل النسق القرآني .

– وأثبت البحث أن اليقين ثلاث درجات: علم اليقين: وهو القبول والإذعان والتقيد بكل ما جاء من عند الله تعالى، وعين اليقين: ويراد به: أن المعارف التي حصلت سلفاً ترتقي من درجة العلم الجازم بها، إلى درجة النظر إليها بالأنظار، والكشف عنها بالأبصار.

وحق اليقين: وهذه الدرجة تحصيل لما حصل من العلم والمشاهدة.

– وأكد البحث أن اليقين ذو أهمية بالغة في جانب العقيدة والاعتقاد، إذ أنه يسهم بحول الله وقوته في ترسيخ عقيدة المؤمن.

– وبين البحث أنه متى قويت عقيدة المؤمن ورسخ اليقين في قلبه، أصبح في حصن حصين من مكائد الشيطان ووساوسه.

– وأكد البحث أن اليقين تمثل في حياة نبي الله – إبراهيم عليه السلام – عقيدة وسلوكاً.

– وأوضح البحث أن أثر اليقين في عقيدته تمثل في طلبه من الله – عز وجل – أن يريه كيفية إحياء الموتى ليرتقي من درجة علم اليقين إلى درجة المشاهدة.

– وأن أثر اليقين في سلوك– إبراهيم عليه السلام – اتضح في عدة جوانب منها:

– ثقته بربه حينما ألقوه في النار، وكان آخر قوله: حسبي الله ونعم الوكيل.

– هجرته إلى مصر وصبره على ابتلاء الله عز وجل له في زوجه بملك تلك البلاد، فنجاها الله منه.

– وسؤاله الله تعالى موقناً بالإجابة أن يهبه ولداً صالحاً،مع كبر سنه وعقم زوجه سارة، فقدر له سبحانه وتعالى أن يتزوج هاجر، فولدت له إسماعيل– عليه السلام–.

– وامتثاله لأمر الله تعالى حينما أمره أن يأخذ هاجر وابنها الرضيع آنذاك ويرتحل إلى مكة، عند موضع البيت وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء.

– وصبره على فراق ولده وزوجه لما تركهما في الوادي عند البيت مع يقينه برعاية الله لهم.

–واستسلامه لأمر الله تعالى حينما أمره الله تعالى بذبح ابنه إسماعيل.

– وجوابه لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه بمكروه، لذكره إياها بسوء فينفسه وذلك في قوله تعالى:﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾الأنعام: 81

توصية:

أوصي الباحثين إلى دراسة سير الأنبياء – عليهم السلام – من خلال القرآن الكريم والتعرف على ما تميزوا به من صفات عظيمه للتأسي بهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت685هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1 1418هـ.

3- انظر البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، دار الفكر، بيروت -لبنان، (د/ط) 1407هـ - 1986م.

4-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، أبو إسحاق إبراهيم الفيروز آبادي (ت817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 1412هـ-1992م.

5- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د/ط) 1984م.

6- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1402هـ- 1982م.

7- تفسير الشيخ الطيب أحمد حطيبة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (http://www.islamweb.net)، (الكتاب مرقم آلياً ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درساً).

8- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2 1420هـ- 199م.

9- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365 هـ - 1946م.

10- تفسير المنار، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، (د/ط) 1990م.

11- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، ط2 1420م-2000م.

12- الجامع لأحكام القرآن،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، مصر- القاهرة، ط2 1384هـ-1964م.

13- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د/ط/ت).

14- زاد المسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1 1422هـ.

15- الزهد الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط3 1996م.

16- السنن الصغير، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حققه: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي- باكستان، ط1 1410هـ- 1989م.

17- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1 1422هـ.

18- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د/ط/ت).

19- صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط2 1392هـ.

20- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (د/ط) 1379هـ.

21-فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، ط1 1414هـ.

22- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن العسكري (ت 295هـ)، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د/ط/ت).

23- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، (د/ط/ت).

24- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور(ت 711هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ط3 1414هـ.

25- محاسن التأويل، محمد جمال الدين محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد بال عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1 1412هـ-1992م.

26- المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1 1422هـ- 2001م.

27- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط3 1416هـ-1996م.

28- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له:

محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، ط1 1419هـ-1998م.

29- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1 1420هـ.

30- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق أحمد بن عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1 1415هـ- 1994م.

31- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، بيروت- لبنان، ط1 1412هـ.

32- http://www.ahlalhdeeth.com.